جامعة إفريقيا العالمية

مركز البحوث والدراسات الإفريقية

الأمانة العامة لسنار عاصمة الثقافة الاسلامية ٢٠١٧

مؤتمر طرق الحج في إفريقيا

الخرطوم - السودان

٢٨-٢٩ نوفمبر ٢٠١٦م

الكتاب السابع:

الآثار الاقتصادية ووصف الطرق

أثر رحلات الحج في نشوء الوظائف والمؤسسات الإدارية وتطورها في بلاد السودان الغربي

الأستاذ الدكتورة صباح إبراهيم الشيخلي
كلية الآداب/ جامعة بغداد- العراق

المستخلص:

تناقش هذه الدراسة رحلات الحج وأثرها في نشأة النظم الإدارية وتطويرها في بلاد السودان الغربي من القرن (5هـ/11م) إلى القرن (10هـ/16م) وكيف تم ذلك في مرحلة النشوء والتكوين التي أرتبطت بدخول وانتشار الإسلام الواسع في تلك البلاد وإعلان الإسلام السياسي فيها كثمرة لرحلة حج يحيى بن إبراهيم الجدالي الصنهاجي في القرن (5هـ/11م) أولاً. ثم نوجه اهتمامنا ثانياً، إلى مرحلة التطوير والتي كانت فيها لرحلات حج الملوك السودانيين المسلمين الأثر في أثراء نظم إدارة ممالكهم عن طريق تطوير أساليب الوظائف الإدارية القديمة، بجعلها تتلائم مع نظم الإدارة الإسلامية بل وتقاليدها، واستحداث مؤسسات ووظائف إدارية جديدة اقتضتها الحاجة والضرورة.

Abstract:

This study discuss mainly the impact of the pilgrimages travels on rising and developing of the Administrative systems in western Sudan from 5-10H /11-16 A. century.

Thus we can divide the study into two stages:

The first witnessed the wide spread of Islam in western Sudan, and proclamation of the politic Islamization during the 5/11 century which connected with pilgrimage of the Sanhāja ruler Yahyā ibn Ibrāhim al Juddāli.

At the second stage, there were the pilgrimages of western Sudanese kings and its affect on the administrative system of their

governments, by developing the old administrative functions, according to Islamic system, and creating new administrative institutions, according to their needs of that stage.

الكلمات المفتاحية:
السودان الغربي، رحلات الحج، الوظائف والمؤسسات الإدارية، الممالك السودانية، مملكة مالي، ممكلة السنغاي.

توطئة:

كان الحج أحد وسائل انتشار الإسلام ونتيجة من نتائجه في بلاد السودان الغربي، حيث تتداخل العوامل مع الوسائل، بل كثيراً ما تظهر العوامل وتتحد بتوفر الوسائل للوصول إلى الأهداف والنتائج المطلوبة[1]. ومن هنا ننطلق لدراسة رحلات الحج وأثرها على بلاد السودان الغربي[2].

إن الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على رحلات الحج التي قام بها زعماء وحكام السودان الغربي خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن (5هـ/11م) إلى القرن (9هـ/15م). وسنهتم بأثر هذه الرحلات في نشوء النظم الإدارية وتطورها في تلك البلاد، مركزين على نقطتين:

1 -الاهتمام بمرحلتي النشوء والتطور في النظم الإدارية في ممالك السودان الغربي.

2 -الاستشهاد بنماذج من الوظائف والمؤسسات الإدارية في تلك الممالك، والتي جاءت كثمار لرحلات الحج في تطورها واستحداثها.

وستكون الدراسة، بطبيعة الحال، في ضوء المعلومات التي دونتها مصادرنا التراثية بما فيها من مؤلفات جغرافية وتاريخية، مستعينين بنصوصها للاستدلال والتوضيح والاستنتاج. وسأتجنب الدخول في تفاصيل موضوعات بحثنا، إلا بالقدر الذي يكون ضرورياً للوصول إلى ما نرنو إليه.

المرحلة الأولى: النشأة والتكوين:

ما دامت رحلات الحج أحدى قنوات انتشار الإسلام وحضارته، ونتيجة من نتائجه في بلاد السودان الغربي، وما دام وصول الإسلام إلى تلك البلاد من جهة

الشمال حيث بلاد المغرب والصحراء الغربية،' فسنبدأ مع رحلة رجل من مناطق الشمال وبالتحديد من الصحراء، فمن هو هذا الرجل ولماذا وكيف كان لحجته التأثير المتميز في السودان الغربي؟

إن هذا الرجل هو يحيى بن إبراهيم الجدالي، وجدالةٌ هي أحدى قبائل صنهاجة الصحراء الغربية، تلك القبيلة التي استطاعت مع قبيلتين صنهاجيتين هي لمتونة ومسوفة من الالتحام في نوع من الاتحاد الصحراوي في القرن (3هـ/9م)، وليستمر هذا الاتحاد إلى القرن (5هـ/11م) حيث تولى زعامته، يحيى بن إبراهيم الجدالي[3].

نال يحيى بن إبراهيم، اهتمام كتابنا التراثيين من جغرافيين ومؤرخين، ويعود السبب في ذلك إلى حجته إلى بيت الله سبحانه وتعالى، وما ترتب على هذه الحجة من نتائج مباشرة، وأخرى بعيدة المدى في بلاد المغرب والصحراء وبلاد السودان الغربي.

مع تولي يحيى بن إبراهيم لرئاسة الاتحاد الصنهاجي الصحراوي، خرج إلى الحج، وهذا ما سجله معاصره الجغرافي البكري[4]، وتبعه في تأكيد ذلك كل كن كتب بعده عن يحيى بن إبراهيم. أما عن تاريخ هذه الرحلة، فلا يمكن تحديده بالضبط لاختلاف الروايات فيها، والمرجح أنها كانت سنة (430هـ/1038م) [5].

خرج رئيس الاتحاد الصنهاجي الصحراوي يحيى بن إبراهيم الجدالي لقضاء فريضة الحج وفي صحبة مجموعة من رؤساء قومه، منطلقاً من الصحراء حيث ربوع قبيلته جدالة مستخدماً طريق القوافل التجارية الصحراوية (وهو طريق الحجاج أيضاً)، والذي يسير باتجاه الشمال إلى بلاد المغرب الأقصى، ثم الأوسط والأدنى (أفريقية)، ومنها إلى مصر ثم الحجاز ذهاباً وإياباً. وفي طريق الحج هذا كانت قوافل الحجاج تتوقف عند المدن الشهيرة للاستراحة والإفادة. في رحلة العودة من الحج زار يحيى بن إبراهيم الجدالي ومرافقوه مدينة القيروان التي كانت مركز الثقافة والفكر في بلاد المغرب آنذاك. وفي القيروان وبالتحديد في مسجد القيروان شهد يحيى بن إبراهيم مجلس علم للفقيه المالكي أبو عمران الفاسي الغفجومي. وقد سجل البكري، المعاصر لهذه الرحلة وتبعه عدد ممن كتب عنها من كتابنا التراثيين، ما جرى في هذا اللقاء بين يحيى وأبو عمران. والذي يهمنا ما نتج عن هذا اللقاء، وهو إدراك يحيى قلة معرفته

وقومه بالعقيدة الإسلامية، فاندفع يسأل أبا عمران أن يرسل معه أحد تلاميذه ليعلمه وقومه الصنهاجيين أصول الإسلام الصحيحة. ولما لم يجد أبو عمران من بين تلاميذه من له رغبة في ذلك دله على رجل من تلاميذه، وهو الفقيه وجاج بن زلو (زلوى) اللمطي صاحب مدرسة للفقه المالكي تسمى (دار المرابطين) بملكوس في السوس في المغرب الأقصى ليساعده في إجابة طلبة. رحل يحيى من إبراهيم حيث وجاج فوجد عنده بغيته، فقد رشح له الفقه عبد الله بن ياسين الجزولي وليصحبه يحيى معه إلى ربوع قبائل صنهاجة في الصحراء من أجل تعليمهم مبادئ الإسلام الصحيحة[6].

هكذا جاءت بوادر نتائج رحلة حج يحيى بن إبراهيم، حيث تمكن عبد الله بن ياسين بعد اجتياز مرحلة من الصعوبات، من أن يجعل من المجموعة التي جمعها حوله من الاتباع الصنهاجيين الصحراويين، قوة قادرة على مسك زمام السيطرة على الصحراء جميعها[7].

ومن ثمار رحلة حج يحيى بن إبراهيم المبكرة، تمكن عبد الله بن ياسين من أن يخلق من الصنهاجيين قوة قادرة على الانبثاق السياسي والاقتصادي ذات عقيدة إسلامية قوية، وقد وصف هذه القوة أحد المستشرقين وصفاً دقيقاً وصحيحاً قائلاً: أنها قوة دافعة جديدة جعلت من الصنهاجيين الصحراويين قادرين على إنجاز ما لم يسبق له مثيل[8]. فقد حمل عبد الله بن ياسين المرابطين الصنهاجيين إلى الشمال حيث بلاد المغرب الأقصى لأول مرة في تاريخ قبائل صنهاجة الصحراء[9]، وتمكن المرابطون بجهودهم من فرض سيطرتهم على المغرب الأقصى وأسسوا كياناً سياسياً لهم كان أول حكامه أبو بكر بن عمر اللمتوني[10]، تبعه يوسف بن ناشفين وأولاده وأحفاده الذين تمكنوا من إقامة دولة قوية واسعة الأطراف شملت المغرب الأقصى وجزءاً من المغرب الأوسط والأندلس والصحراء الغربية وبلاد السودان الغربي.

والذي يعنينا في بحثنا هذا هو توجه المرابطين الصنهاجيين جنوباً إلى بلاد السودان الغربي، والذي بدأ بتوجيه عبد الله بن ياسين حملة عسكرية سنة (446هـ/1054م) نحو مدينة أودغست (في الحدود الشمالية لبلاد السودان الغربي) والسيطرة عليها وإخراج عاملها التابع إلى مملكة غانه السودانية الوثنية[11]. كما قاد أمير المرابطين عمر بن يحيى اللمتوني حملات عسكرية نحو السودان الغربي

استمرت حتى وفاته سنة (448هـ/1056م) [12]. هكذا كان الجهد المبكر للمرابطين في السودان الغربي من أجل نشر الإسلام وجعلها تابعة إدارياً لهم، والذي لم يذهب هباءاً، بل ظهرت آثاره واضحة في تعزيز الوجود الإسلامي في أراضي مملكة غانه، كما سجل البكري المعاصر للأحداث هذه، ذاكراً أن عاصمة مملكة غانة السوننكية منقسمة إلى قسمين مدينة للمسلمين ومدينة للملك وأتباعه، وحتى في مدينة الملك نجد وجوداً واضحاً للمسلمين أيضاً، بل أن هذا التواجد كان أبعد من هذا، فقد شارك المسلمون في إدارة مملكة غانة السودانية الوثنية، وأن ملكها إختار من المسلمين من ذوي الخبرة والمقدرة ليكونوا وزراء ومستشارين وإداريين ماليين[13]، إدراكاً منه، على ما نذهب، لقيمة ما عند المسلمين من نظم إدارية، وأن تطبيقها في إدارة مملكة غانة ضروري. أن هذا التغيير في النظام الإداري في السودان الغربي يعد المرحلة الأولى من مراحل تبني النظم الإدارية الإسلامية في تلك البلاد. وبالرغم من عدم معرفتنا بأبعاد النظام الإداري في غانة، وكم من النظم الإدارية الإسلامية استطاع الموظفون الإداريون المسلمون من إنجازها في هذه المرحلة، لكننا نقول أن نشأة النظم الإسلامية في السودان الغربي قد بدأت.

ومن نتائج رحلة حج يحيى بن إبراهيم الجدالي المتميزة وذات الأثر الطويل المدى في السودان الغربي، كانت جهود أبي بكر اللمتوني أول حكام الدولة المرابطية، وقد سجلت مصادرنا التراثية معلومات عن ذلك، وان كانت لا تتناسب مع جهود أبي بكر في بلاد السودان والتي لم يسبق لها مثيل في نتائجها.

أفرد ابن أبي زرع عنواناً عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني المرابطي، فعرّف به وقال أن توليته كأمير للمرابطين كان من قبل عبد الله بن ياسين سنة (448هـ/1056م)، وأنه عندما انصرف إلى الصحراء، بعد تنازله عن الحكم في الشمال إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين قام يجاهد في بلاد السودان حتى استشهد في إحدى غزواته سنة (480هـ/1087م)[14]. وأكد ذلك ابن عذاري[15].

والذي يخصنا من جهد أبي بكر العسكري والذي استمر على أقل تقدير خمس عشرة سنة، هو انتشار الإسلام الواسع في تلك البلاد[16]، بل وإعلان الإسلام السياسي فيها، أي قيام حكومات إسلامية سودانية هناك، وهذا يعني الكثير. ففي نص

مهم دونه الجغرافي الأندلسي الزهري القريب من هذه الأحداث جاء فيه: "إن سكان غانة كانوا يتمسكون بالكفر فيما سلف وحتى خروج أبي بكر، وإنهم أسلموا في مدة لمتونه (دولة المرابطين) وحسن إسلامهم وكذلك إسلام ملوكهم"[17]. وأكد معاصر الزهري الجغرافي الأدريسي هذه المعلومة[18]. كما أكد هذا القول صاحب (الحلل الموشية) مشيراً إلى أن سنة (469هـ/1076م) في أيام الدولة المرابطية، أسلم أهل بلاد السودان، وأسلمت حاضرة غانة وحسن إسلامهم[19]. إن مثل هذه النصوص المهمة تؤكد لنا إعلان الإسلام السياسي في السودان الغربي بفضل جهود أبي بكر اللمتوني، وهذا ثمرة أخرى من ثمار رحلة حج يحيى بن إبراهيم بالتأكيد.

لم يسلم حكام غانة فقط على يد اللمتوني المرابطي أبي بكر، بل ربطوا مملكتهم إدارياً بدولة المرابطين ولمدة قصيرة (ثلاث سنوات)، بعدها أعلن حكام غانة السودانيون المسلمون ارتباطهم سياسياً بالخلافة العباسية في بغداد، بل ذهبوا إلى تبني النسب العربي الشريف وأنهم من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[20]، ولم يقتصر إعلان الإسلام السياسي في السودان الغربي على مملكة غانة بل شمل ممالك أخرى أصغر شأناً من غانة، مثل التكرور وملل (مالي) وغيرها.

أن التغير السياسي الواسع في السودان الغربي[21]، لابد أن يصاحبه تغييرات في نظم الحكم والإدارة في تلك الممالك المسلمة، ونقصد بذلك تحول هذه النظم من النمط الوثني إلى النمط الإسلامي، وهذا ما نقصده بمرحلة التكوين.

بعد أن شعر حكام السودان الغربي، وفي مقدمتهم حكام مملكة غانة بانتمائهم إلى الإسلام دينياً ودنيوياً، بدأوا بإعادة بناء نظام الحكم عندهم (ونظم الحياة الأخرى) بشكل جديد، فضلاً عن جهودهم في توسيع نطاق انتشار الإسلام في السودان الغربي. وهنا نجد من المهم أن نسجل ما قاله عنهم الزهري: أن حكام غانة وأكابرهم "ساروا إلى مكة وحجوا وزاروا وانصرفوا إلى بلادهم وأنفقوا أموالاً كثيرة في الجهاد"[22].

من هذا النص نستطيع القول: إن حكام غانة السودانيين المسلمين كان لهم قصب السبق في أداء فريضة الحج ومعهم أعيان بلدهم في القرن (6هـ/12م) وأنهم بعد رجوعهم من الحج كرّسوا جهودهم وأموالهم في الجهاد، وكذلك في إصلاح شؤون بلادهم ومنها نظم الحكم والإدارة. وقد ذهب أحد المستشرقين إلى أن حجة ملوك غانة

ما هي إلا تقليد لحجة يحيى بن إبراهيم الجدالي أمير دولة المرابطين[23]. ونؤيد هذا القول، كما نضيف هنا، أن الحكام السودانيين وجدوا في هذا التقليد لحكام المسلمين في الشمال ضرورياً دينياً ودنيوياً. بل وبعد نهاية مملكة غانة في مطلع القرن (7هـ/13م)، على يد حكام مملكة مالي الإسلامية الناشئة في السودان الغربي[24]، وسيستمر اهتمام حكامها في أداء فريضة الحج والإفادة منها دينياً ودنيوياً، وكذلك فعل حكام سنغاي المسلمين بعدهم، والذي سنعدّه مرحلة التطوير.

المرحلة الثانية: التطوير:

في هذه المرحلة كان لحج الحكام السودانيين لدولتي مالي والسنغاي وابتداءاً من القرن (7هـ/13م)، وحتى القرن (10هـ/16م)، الفضل في تطوير بلاد السودان الغربي في شتى مجالات الحياة، ومنها إغناءهم لنظم الحكم والإدارة في ممالكهم.

لقد أدرك حكام مالي والسنغاي سريعاً، أن رحلات الحج تشكل قناة مهمة في تعزيز مبادئ الإسلام في بلادهم وتنشيط التماسك والتضامن بين الحاكم والمحكوم، بل وأدركوا أن رحلات الحج تعدّ مصدراً مهماً للإصلاح والتطوير في أنظمة إدارتهم وحكمهم لممالكهم. ويذهب أحد المستشرقين إلى أن نتائج حج حكام السودان الغربي كانت في الغالب نتائج إيجابية ومباشرة[25]. وهذا رأي صائب، على ما نرى، من خلال تتبع سير حكام مملكتي مالي والسنغاي.

ومما يلاحظ، أن رحلات حج حكام بلاد السودان الغربي المسلمين كحكام مالي والسنغاي، بل وحتى حكام غانة، قد أثارت تساؤلات ونقاشات بين بعض المستشرقين المهتمين بالكتابة عن تاريخ الإسلام في أفريقيا الغربية، فعلى سبيل المثال: أثار المستشرق ترمنجهام (Trimingham) تساؤلاً عن السبب وراء ذهاب الحكام السودانيين المسلمين الأوائل إلى الحج؟ فجاء السبب من وجهة نظره: أن رحلات حجهم هذه جاء لتعزيز مكانة حكام السودان الغربي في الدين الجديد، مع وجود من بقي على الوثنية في بلادهم، فالحج كشعيرة إسلامية دينية يمكن أن يزيد في مكانة الملك في عيون المسلمين في بلاده وهم أقلية[26].

لقد رد على رأي ترمنجهام (Trimingham) هذا المستشرق ليفتزون (Levtzion) بالقول: إن هذا المقترح الذي قدمه ترمنجهام، والذي يحمل وجهة نظره،

لا يصمد أمام الترحاب الذي كان يلقاه الحجاج الحكام في مدن مالي والسنغاي من جميع سكانها، وأن بركة رحلات الحج هذه كان تشمل الجميع. واعتمد هذا المستشرق في دعم رأيه على روايات شفوية لقبائل سودانية[27]، وهنا لابد من أن نضيف القول أن المستشرق ترمنجهام لم يدرك أن الحج فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولم يحاول أن يعرف أن للحج فوائد دينية ودنيوية أيضاً، جاء تأكيدها في آيات القرآن الكريم، بل أهمل متعمداً ما أفرزته رحلات الحج للحاكم السودانيين المسلمين من نتائج مهمة ومتنوعة لهم ولشعوبهم لتطوير جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، بل وفي أثراء نظم الحكم والإدارة، وكل ذلك نجده في نصوص مؤلفاتنا التراثية التي قرأها ترمنهجام. وسنوجه اهتمامنا إلى أشهر رحلات الحج لحكام مالي والسنغاي لنثبت ما نهدف إليه.

تعد مملكة مالي من الممالك القديمة في السودان الغربي، وقد عرفت الإسلام قبل الحركة المرابطية وبعدها، وأن نجمها بدأ بالظهور مع أوائل القرن (7هـ/13م)، لتصبح في منتصفه قوة ذات تأثير متميز في السودان الغربي[28]. والذي يعنينا من مملكة مالي رحلات الحج التي قام بها حكامها، وآثار هذه الرحلات المهمة.

سجل ابن خلدون نقلاً عن أحد فقهاء السودان الغربي والذي زار مصر في طريقه إلى الحج سنة (799هـ/1396م)، قائلاً أن: "أول من أسلم من حكامهم (حاكم مالي) ملك أسمه برمندانه... وحج هذا الملك وأقتفى سنته في الحج ملوكهم من بعده"[29]، وكرر هذه المعلومة القلقشندي أيضاً[30]. فرحلة الحج كانت واجباً على كل من اعتلى عرش مالي وهي من سننهم، وإذا ما عرفنا أن عدد حكام مالي منذ القرن (7هـ/13م) وحتى نهايتها يتجاوز الثلاثين ملكاً[31] وأن جميعهم (أو أغلبهم) قد أدى فريضة الحج أدركنا حجم حصيلة وثمرة هذه الرحلات.

وسنقصر كلامنا عن أشهر رحلات الحج لحكام مملكة مالي وهي رحلة حج منسا موسى (سنة 724هـ/1323م)، والذي عدّ من "أعظم ملوك المسلمين في السودان الغربي وأوسعهم بلاداً وأكثرهم عسكراً وأشدهم بأساً وأعظمهم مالاً وأحسنهم حالاً..." [32].

كانت رحلة حج هذا الحاكم الشهير منسا موسى قد تمت بطريقة مثيرة، وعلى جانب من الأبهة والفخامة حسب ما وصلنا من أوصافها[33]، مما لفت أنظار العالم الإسلامي والأوربي إلى عظمة وثراء مملكة مالي السودانية الإسلامية[34]. ولم يخرج منساموسى حاكم مالي في رحلة حجه هذه لوحده بل كان يصحبه موكب ضخم فيه وزراء وإداريون وعدد من وجوه القوم في مملكة مالي[35].

أما عن ثمار رحلة حج منسا موسى والمرافقين له، فنقول: إن حاكم مالي الحاج منسا موسى بعد رحلة حجه أندفع بحماس لمتابعة ما يريد إنجازه في مملكته على الصعيدين الخارجي والداخلي. فخارجياً عمل على تطوير العلاقات بين مملكة مالي ومصر المملوكية على مختلفة الأصعدة. كما أقام علاقات متطورة مع بني مرين حكام المغرب الأقصى، وقد تنوعت هذه العلاقات فكانت في مجال الدبلوماسية والتجارة وميدان الثقافة والفكر[36].

وفي السياسة الداخلية، نجد أن رحلة منسا موسى قد أثرت على جوانب الحياة المختلفة في مملكة مالي الإسلامية، ومنها نظم الحكم والإدارة فيها. وهنا يبرز سؤال يطرح نفسه وهو: هل أن وجود الإداريين من وزراء وولاة أقاليم وغيرهم ضمن المجموعة المرافق لمنساموسى في رحلة حجه، أتاحت لهم الفرصة ولملكهم بالإطلاع على ما في الأقاليم التي شملتها رحلتهم من نظم حكم وإدارة؟ فالجواب بالإيجاب على ما أذهب.

لقد وفق منساموسى وموظفوه الإداريون بعد العودة من رحلة الحج في مشروعاتهم السياسية والإدارية والعسكرية، وأن الأوصاف التي وصفت بها إنجازات حاكم مالي يستحقها بجدارة[37]. فقد نجح منساموسى، يسانده موظفوه، في تنظيم وإدارة شؤون دولتهم المترامية الأطراف، حتى عدت حكومة مملكة مالي أنموذجاً لحكومات غرب أفريقيا[38]، وان الأثر الإسلامي في نظم الحكم والإدارة فيها كان واضحاً وبارزاً وكما سنفصل لاحقاً.

أما عن حاكم مملكة سنغاي، الذي ارتبط اسمه برحلة حج شهيرة، فكان أسكيا محمد بن أبي بكر الطوري مؤسس أسرة أسكيا التي حكمت السنغاي من نهاية القرن

(9هـ/15م) إلى نهاية القرن (10هـ/16م) [39]. وقد شهدت مملكة سنغاي أيامه تطوراً سياسياً وإدارياً وحضارياً[40].

توجه الأسكيا محمد في سنة (902هـ/1496م) إلى الحج مصطحباً معه جماعة من الأعيان والوزراء وأمراء النواحي والقضاة والعلماء، فضلاً عن 1500 من الاجناد[41]. وبالرغم من أن رحلة حج أسكيا محمد حاكم سنغاي لم تنل من الشهرة ما نالته رحلة منساموسى حاكم مالي، إلا أن ثمارها كانت واضحة على نظم حكمه وإدارته.

فقد تمكن حاكم سنغاي أسكيا محمد إثناء وجوده في مكة بالالتقاء بأمير مكة الذي يسميه محمود كعت بالشريف الحسني مولاي العباس[42]. وقد أقر هذا الشريف له بأنه خليفة المسلمين بأرضه، وأن عليه أن يخلع صفة الملك عنه فوافق، فألبسه الشريف الحسني قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء وأعطاه سيفاً وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بأرض التكرور (بلاد السودان الغربي) [43]. ويكمل محمود كعت نتبع هذا الأمر فيذكر، أن الأسكيا محمد عندما نزل في القاهرة في رحلة عودته من الحج تهيأت له فرصة اللقاء مع الشيخ الفقيه عبد الرحمن السيوطي فاستشاره في موضوع الخلافة فوافقه ذاكراً: أن صفات الخير والصلاح والعدل عنده تؤهله لذلك، كما أقر علماء آخرون على ما صرح به السيوطي[44].

ومن النصوص التاريخية المهمة التي سجلها محمود كعت هذه يتضح لنا: ان حجة حاكم سنغاي الأسكيا محمد عادت عليه بالفوائد الدينية والدنيوية. فقد استثمرها في استشارة العلماء ومنهم السيوطي حول تغيير نظام حكمه من "ملكي" إلى "خلافي" فضلاً عن استشارته حول مشاكل تخص إدارته لبلاده. وإذا ما تابعنا ما أنجزه هذا الأسكيا بعد عودته من رحلة الحج، نجد أنه عمل على التجديد في بلاده[45].

عمل الأسكيا محمد، بعد عودته من الحج، على الإصلاح، فأقام الحقوق والواجبات التي يفرضها الإسلام على المسلمين في مملكته[46]. وعمل على إصلاح حكمه وإدارة بلاده، وفي هذا الجانب سجل محمود كعت القول:

أن الأسكيا محمد بعد أن "ثبتت له السلطة واستقامت له المملكة خرج من ذلك كله، وجعل يسأل العلماء والعاملين عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويمشي

على أقوالهم، حتى اتفق جميع علماء عصره على أنه خليفة..." [47]. كانت رغبة الأسكيا محمد في تطبيق ما جاء به الإسلام من أسس وقوانين تخص الحكم والإدارة نابعة من نفسه، فجاءت رحلة حجه لتمكنه من ذلك، وهنا نتفق مع قوله أحد المستشرقين: من أن سياسة الأسكيا محمد في بلاده قد حصلت على قوة دافعة بعد رحلته إلى مكة، ومع ما قاله بعض الباحثين المهتمين بمملكة السنغاي من ان الوظائف الإدارية في هذه المملكة وجدت بعد رجوع الأسكيا محمد من حجه وإطلاعه على ما كان يوجد بالمشرق[48].

وإذا أردنا أن ننظر نظرة إجمالية على أثر رحلات الحج لحكام السودان الغربي فنقول: أنها أعطت زخماً قوياً لإثراء نظم الحكم والإدارة في بلادهم، وأن لقاءاتهم مع أصحاب السلطة والإدارة في البلاد التي مروا بها أثناء رحلات حجهم، كانت مُعيناً لهم في إصلاح وتطوير ما عندهم من نظم حكم وإدارة، وسنحاول جاهدين على إثبات قولنا هذا باستعراض مكثف لأهم الوظائف والمؤسسات الإدارية في ممالك السودان الغربي في مرحلتي تكوينها وتطويرها.

الوظائف والمؤسسات الإدارية:

شكل حكام السودان الغربي المسلمين في بلادهم جهازاً إدارياً من أجل إدارة البلاد التابعة لسلطتهم السياسية، تكون من مجموعة من الوظائف والمؤسسات التي وجدت لتلبية حاجة تلك البلاد ودعماً لمستلزمات الكيان السياسي المركزي الذي اعتمد في حكمهم لبلادهم. وسنعمل على تميز الوظائف والمؤسسات ذات الجذور القديمة في أيام الحكم الوثني، ثم نتتبع ما أحدثه الحكام السودانيون المسلمون من تجديد واستحداث لتطوير نظم حكمهم وإدارتهم، والذي كان لرحلات حج الحكام السودانيين أثر في إثرائها.

ولابد من التنويه بأن الإسلام والمسلمين لم يعملوا على رفض كل ما عند حكام تلك البلاد، بل نجدهم وافقوا على إبقاء العديد من الوظائف الإدارية ومؤسساتها ما دامت لا تتعارض مع النظم الإسلامية، فدعموا وجودها بالتصحيح والإضافة حيث وجدت الحاجة إلى ذلك، وسنعرضها كالآتي:

1-المملكة ونظام الحكم:

المملكة مؤسسة قديمة في السودان العربي، والذي يهمنا وضعها عند وصول الإسلام والمسلمين إلى تلك البلاد. وعن هذا يُخبرنا البكري أن بلاد السودان الغربي كانت منقسمة أيام وثنيتها إلى عدد من الممالك في أيامه (القرن 5هـ/11م)، بعضها صغير والآخر أكبر، ويبدو أن عددها لم يكن بالقليل[49].

كان نظام الحكم في ممالك السودان الغربي الوثنية ملكياً وراثياً يعطي حق التوريث السياسي للملك في حكم المملكة لابن الأخت فقط[50]. ويعلل البكري هذه الظاهرة، وذلك لتوفر اليقين لدى الملك من صلة ابن أخته النسبية به[51]. وربما يمكن أن نضيف إلى هذا ما قيل أن مبدأ التوريث لابن الأخت للسلطة عند السودانيين، يعود إلى حفظ نظام الأمومة المعروفة عند الشعوب القديمة[52].

والشيء المؤكد منه، أنه مع إعلان الإسلام السياسي في السودان الغربي جاءت نهاية نظام التوريث لابن الأخت ليحل محله انتقال الحكم بالوراثة في البيت الحاكم بين الأبناء والأخوة. ولدينا في مصادرنا التراثية أمثلة وأدلة كافية على ذلك، لاسيما وأن الانتساب إلى الأب هو من قيم ومبادئ الإسلام ولا يمكن للمسلم إلا العمل بها.

تمسك الحكام السودانيون المسلمون بالتغيير الجزئي في نظام الحكم الملكي الوراثي، فمنساموسى حاكم مالي أعلن أمام الأمير أبو الحسن علي ابن أمير صاحب والي مصر، أثناء نزوله في القاهرة بعد رجوعه من رحلة الحج بتمسكهم بمبدأ وراثة الأبناء بعد الآباء بقوله "نحن بيت نثوارث الملك"[53]. كما نجد أن حكام السنغاي هم أيضاً كانوا متمسكين بنظام توريث الحكم للأبناء[54].

كانت مركزية الحكم من سمات نظام الحكم في السودان الغربي حيث ارتبطت جميع المدن والأقاليم إدارياً بالسلطة المركزية في العاصمة، كما سنفصل لاحقاً. وعليه اقتضى الحال بأن يتولى السلطة وريث واحد فقط[55]، لذا لا نجد في مؤلفات تراثيينا ما يشير عكس ذلك.

ومن الضروري القول، أن نظام الحكم الذي اتبعه الحكام السودانيون المسلمون لم يعد يعتمد على الوحدة الأثنية، التي انتهى وجودها في الحكومات السودانية

المسلمة، وحل محلها الوحدة السياسية الإسلامية، وكان ذلك سبباً في استقرار تلك الحكومات وقوتها[56].

أن هذا النظام السياسي المتطور قد شهدته مملكة مالي، ولابد أن يكون لرحلات حج حكامها إسهاماً في هذا التطور، إذا ما وضعنا باعتبارنا ما جرى من أحاديث في الاجتماعات الطويلة بين الحاج حاكم مالي ووالي مصر حول طبيعة النظام السياسي والإداري في مملكة مالي، والذي سبقت الإشارة إليه. ولعل ما حدث في مكة من حديث بين أحد أمرائها والحاج حاكم السنغاي عن تغيير نظام الحكم من نظام ملكي إلى نظام خلافي وتأييد علماء المسلمين في مصر والمغرب لهذا التغيير كما أسلفنا، ولذا تلقب الأسكيا محمد بلقب أمير المؤمنين[57]. أن كل هذا ما كان ليحدث لولا ما أفرزته رحلات الحج للحكام السودانيين.

أما عن صلاحيات ومهام حكام السودان الغربي المسلمين، فهي لا تختلف عن صلاحيات أقرانهم في أقاليم الدولة العربية الإسلامية، وأن العلاقة بين الحكام ورعيتهم كانت علاقة إيجابية ما دام الحكام السودانيون يهتمون بشؤون البلاد، ويطبقون في إدارتها ما يفرضه الإسلام من عدل ورعاية وأمان واستقرار لرعاياهم.

2- نائب المملكة:

النائب لقب يطلق على "القائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبيتها كما ذكر القلقشندي" [58]. ووظيفة النائب مستحدثة ظهرت في عهد الحكومات السودانية الإسلامية، فلم نعثر على ما يشير إليها في بلاد السودان الغربي في العهد الوثني.

في إدارة مملكة مالي لدينا نصوص تؤكد استحداث هذه الوظيفة، فأبن بطوطة الذي زار مالي في زمن حاكمها منسا سليمان، يذكر أن اسم النائب فيها (قنجا)، وأنه التقى بقنجاموسى نائب منسا سليمان في المجلس الرسمي لهذا الحاكم[59]. أما العمري فسجل لنا نصين مهمين عن نائب السلطة في مالي، الأول مفاده أن منسا موسى عندما قرر الذهاب إلى الحج "استناب بها ولده محمد"؛ أما النص الثاني فجاء فيه أن علي بن ماري جاطه حاكم مالي، كان قد استخلف منسا موسى عندما قرر القيام برحلة بحرية لاكتشاف مجاهل المحيط الأطلسي، ولعدم عودته تولى منسا موسى السلطة في مالي[60]. وبهذا نجد أن نائب المملكة في السودان الغربي كان يتولى

شؤون المملكة عند غياب الحاكم عنها، ومن المؤكد أن هذا الاستخلاف يمنح النائب صلاحيات واسعة وهي صلاحيات الحاكم الغائب.

ويبدو أن لنائب المملكة مكانة مهمة عند الحكام السودانيين، فقد كان على رأس المدعوين لحضور جلسات الحاكم الرسمية وفي الاحتفالات الشعبية، وهذا ما شاهده ابن بطوطة عندما كان في مملكة مالي[61].

وفي مملكة السنغاي، كان لنائب المملكة مكانة مهمة عند حكامها أيضاً، فوظيفة تؤهله للاستخلاف في رئاسة الدولة عند غياب حاكمها، فقد استخلف الأسكيا محمد أخاه عمر كمزاغ عند رحلته إلى الحج وذلك في إدارة مملكة السنغاي[62].

كما كان النائب في مملكة السنغاي يشهد على المراسيم الملكية مع القضاة والولاة أيضاً، وهكذا يتضح لنا أهمية وضرورة وظيفة نائب السلطنة المستحدثة في السودان الغربي.

3- الوزارة:

تعدّ الوزارة من الوظائف الإدارية الضرورية والمهمة في الجهاز الإداري في السودان الغربي. ووظيفة الوزارة لها جذور قديمة من أيام الحكم الوثني، واستمر وجودها بعد إعلان الإسلام السياسي في تلك البلاد.

ومما وصلنا إليه من معلومات عن الوزارة في السودان الغربي، تدلنا أن الوزير هو المساعد والمعاون للحكام السودانيين في إدارة شؤون ممالكهم. وكان حكام غانة السوننكيين الوثنيين قد اتخذوا وزراءهم لهم لساهموا في تحمل أعباء المملكة معهم[63]. والأهم من هذا، نذكر أن وصول المسلمين واستقرارهم في مملكة غانة منذ وقت مبكر كان له أثره في نظم المملكة، كما أسلفنا، ففي القرن (5هـ/11م) نجد أن أكثر وزراء الحاكم الوثني في غانة من المسلمين الموجودين في بلاده[64]. وهذا يدلل على رغبة الملك السوداني في تطوير جهازه الإداري فجعل غالبية وزرائه من المسلمين، مع بقاء بعض الوزراء الوثنيين معهم، ربما من أجل التدريب على ممارسة نظم الوزارة وتعليمهم أسسها الإسلامية. وهكذا أصبحت الوزارة وظيفة ذات أسس إسلامية في بلاد السودان الغربي.

وفي مملكة مالي الإسلامية، نجد ما يشير إلى تطوير وظيفة الوزارة، حيث التخصص الوظيفي الذي عرفت به حكومة هذه المملكة. فقد استحدث حاكم مالي منظومة من الوظائف الإدارية في مملكته، والقائمة على أسس إسلامية، ومنحها الصلاحيات اللازمة بحيث جعل لكل منها جدول أعمال خاص بها يقوم بتنفيذه الموظف المختص، وبينها وأهمها الوزارة[65].

عُرف الوزير بمملكة مالي باسم (صندكي) بلغتهم، وكانت له مكانة مهمة في الجهاز الإداري، حيث كان يتدخل بشؤون الحكم عندما يجد ضعفاً من الحاكم، وقد يستبد بالأمر من أجل الإصلاح[66].

وفي مملكة السنغاي استمر منصب الوزير في جهازها الإداري مهماً، ولدينا ما يشير إلى أن حكام السنغاي اتخذوا عدداً من الوزراء لمساعدتهم في إدارة شؤون دولتهم[67].

4- الحجابة:

من المناصب الإدارية التي نجدها في ممالك السودان الغربي، ويبدو أن جذورها قديمة في بلاد السودان[68]، واستمر وجودها في العهد الإسلامي، فقد اتخذ حكام مالي حجاباً لهم يقومون بتنظيم مقابلات الناس لهم[69]. ولدينا معلومة فريدة مهمة دونها العمري عن الحاجب في مملكة مالي وهو يصف مجلساً لحاكم مالي منسا سليمان ذاكراً الحضور فيه من حراس وأمراء وأعيان وفرسان عسكر، ثم يسجل وجود الحاجب قائلاً عنه هو "سفير بينه (الحاكم) وبين الناس يُسمى الشاعر[70]. من هذا النص يتبين لنا: أن وجود الحاجب كموظف إداري في مجلس ملك مالي ضرورة للحاجة له في العملية التنظيمية. أما عن تشبيه عمل الحاجب بمهام السفير فهو وصف ذكي، لكون أن وظيفة كلاهما تقتضي أن يعملوا كواسطة في تنظيم العلاقة بين الحاكم ورعيته بالنسبة للحاجب، والحاكم والدول الأجنبية بالنسبة للسفير. أما عن تسميته بالشاعر، فهي الأخرى تسمية ذكية، لكون أن الحاجب يحتاج في عمله إلى اللباقة وحسن التعبير والقدرة على إيصال ما يُراد منه.

5- الترجمان:

من الوظائف الإدارية المستحدثة، التي استحدثها الحكام السودانيون بعد وصول الإسلام والمسلمين إلى بلادهم، حيث أصبحت الحاجة ملحة إلى وجودها في الجهاز الإداري للممالك السودانية، ولتزايد أعداد المسلمين غير السودانيين في السودان الغربي لأغراض متنوعة واتساع علاقات ممالك السودان الغربي (السياسية والدبلوماسية والتجارية والفكرية) مع الأقاليم العربية في بلاد المشرق والمغرب.

فالمترجم يقوم بمهمة الحوار بين الملك السوداني وزائريه لاسيما الوافدين على البلاد من الغرباء. وأول إشارة وصلتنا عن وجود هذه الوظيفة جاءت تخص مملكة غانة السودانية، حيث عهد ملكها الوثني هذه الوظيفة إلى المسلمين من ذوي الخبرة والمقدرة[71]. وهذا ما يشير أن الحاجة إلى التفاهم مع القادمين المسلمين من الشمال إلى أرض السودان الغربي كان لها أثر في إيجاد هذه الوظيفة.

وفي مملكة مالي علا شأن وظيفة الترجمان، ونحن مدينين للرحالة ابن بطوطة في تعريفنا بوجود هذه الوظيفة الإدارية المستحدثة في بلاد السودان الغربي، فهو يخبرنا -كشاهد عيان- أن الاسم الذي أطلق على الترجمان في مالي هو (دوغا)، وأن له مكانة مهمة ومهام يقوم بها، حيث يختار من بين أفاضل الناس وكبارهم، وهو الواسطة بين حاكم مالي وزواره، وان حضوره ضروري في المجالس الرسمية لحاكم مالي، واصفاً الأبهة والفخامة في الزّي التي يظهر بها الترجمان[72]. كما شاهد ابن بطوطة وجود الترجمان في مواكب حاكم مالي في العيدين (الأضحى والفطر) وفي الاحتفالات التي تقام فيهما، كما نجد أن الترجمان يكون أحياناً مُعبراً عن لسان حاكم مالي في المواقف والقضايا التي تخصى المملكة لاسيما السياسية منها[73].

ومما يلحظ أن الحكام السوادنيين كانوا في العادة لا يتحدثون بدون ترجمان، وهذا ما أخبرنا به العمري، حيث ذكر أن منسا موسى ملك مالي خلال رحلة حجه وفي مقابلته ممثل سلطان مصر المملوكي (الناصر محمد قلاوون)، كان لا يتحدث الا بترجمان مع إجادته اللسان العربي[74]، فالترجمان بهذا تكون أعباء وظيفته مهمة وخطيرة، فهو يصاحب الملك في رحلاته خارج بلاد السودان. وفي مملكة السنغاي، استمر وجود وظيفة الترجمان، حيث كان صاحبها يرافق الحاكم في تجواله في أرجاء

مملكته ويخاطب الرعية بأمر الملك يُعْلمُهم رغباته في الإصلاح، كما يقوم بمخاطبة الرعية في المناسبات والأعياد يُعْلمِهُم بهدايا وعطايا ملكهم[75]. وهكذا اقتضت الضرورة إلى استحداث وظيفة الترجمان.

6- الكاتب:

وظيفة من الوظائف الضرورية لكل مملكة لا يمكنُ الاستغناء عنها، وذلك لأن الكاتب هو المُعبّر الرسمي عن آراء الحكام السودانيين وأفعالهم، ينظم العلاقة بين الحاكم والرعية، وهي من الوظائف المستحدثة في السودان الغربي. ولتأكيد أهمية عمل الكاتب نسجل أمثلة عن مهامه وأعماله.

ففي مالي نجد أن حاكمها منسا موسى عرف أنه كان في الغالب لا يكتب شيئاً بل أمره بالقول، وان يوكل أمر ذلك إلى صاحب وظيفة الكتابة، كما هو شأنه مع أصحاب الوظائف الإدارية الأخرى[76].

أما في مملكة السنغاي فلدينا نصوصاً مهمة دونها كتّابُ سودانيون منهم السعدي ومحمود كعت، توضح مهام وواجبات الكاتب. فحاكم السنغاي لا يمكن أن يستغني عن الكاتب، لأن وظيفته كتابة الرّد على الرسائل التي ترد من الرعيّة إلى الحاكم[77].

ومن الضروري أن نذكر هنا أن ملك السنغاي سني علي كان قد اتخذ كاتباً عربياً أصله من فاس واسمه إبراهيم بن خضر كان قد استقر في مدينة تنبكت وولي وظيفة الكاتب، وبعد وفاته خلفه ولده (حوي) في هذا المنصب[78].

من المهام التي عهدت إلى الكاتب هو تحرير المراسيم الرسمية التي تصدر من الحاكم إلى الموظفين الإداريين والى رعايا المملكة، وقد سجّل محمود كعت تفاصيل مهمة عن هذه المراسيم في مملكة السنغاي، كما سجّل ما كان يحرره الكاتب من محارم (المحرم هو الظهير أو المرسوم) إلى بعض أفراد رعيته[79].

ونجد أيضاً أن حكام السنغاي، أحياناً يستشيرون الكاتب في بعض القضايا التي تهم مصلحة المملكة ويطلبون منه إبداء الرأي فيها[80].

التي ضمت الجيش البرّي والبحري بصنوفه وتنظيماته المتنوعة، والمؤسسة المالية. ونحن في بحثنا هذا سوف لا نتكلم عن مثل هذه المؤسسات المهمة والكبيرة، لأن ذلك في الواقع يحتاج إلى حيز كافٍ لدراسة مستقلة أو أكثر تغطي تفاصيل هذه المؤسسات في السودان الغربي، وسنقتصر على الاهتمام بمؤسسة واحدة هي ديوان الرسائل.

يعد ديوان الرسائل، من المؤسسات التي ظهرت بعد تبني الحكام السودانيين للإسلام عقيدة وحضارة، وظهرت الحاجة إلى هذا الديوان بعد أن شعر الحكام بضرورة تنظيم المكاتبات والمراسلات الخارجية بين الممالك السودانية والممالك الأخرى. ويبدو واضحاً أن ديوان الرسائل السوداني، كان قد تأثر في نظمه بما عند أقاليم الدولة العربية، وهذا ما وضحه العمري والقلقشندي ولا نريد أن ندخل في تفاصيل الرسائل والمكاتبات المتنوعة الأغراض بل نكتفي بإعطاء فكرة عن صيغ هذه الرسائل والمخاطبات.

إن العلاقة المتينة لمملكة مالي السودانية مع مصر وبلاد المغرب، كانت تتطلب إرسال الرسائل وتبادل المكاتبات وإيفاد السفارات لتدعيم هذه العلاقات. ولدينا نماذج من صيغ المخاطبات بعضها صادر عن ديوان الرسائل في مالي والبعض الآخر عن ديوان الإنشاء بمصر. نذكر منها وصفاً لصيغة مخاطبات ديوان الرسائل في مالي سجله العمري والقلقشندي كالآتي:

"جاء كتاب من السلطان (منسا موسى) إلى الحضرة السلطانية بمصر (على عهد السلطان الناصر محمد قلاون) وهو بالخط المغربي في ورق عريض السطر إلى جانب السطر وهو يمسك فيه ناموساً لنفسه مع مراعاة قوانين الأدب، كتبه على يد بعض خواصه ممن جاء يحج، ومضمونه السلام والوصيّة بحامله"[92].

من هذا النص يتبين: أن كاتب الرسائل في مالي كان على درجة عالية من المعرفة بصيغ كتابة الرسائل إلى المقامات العالية، وكيفية مخاطبة السلاطين، واستخدام كاتب الرسالة الأسلوب الدبلوماسي الذي تقتضيه قوانين المجاملة والأدب في الكتابة. كما نجد أن ديوان الرسائل في مالي كان يستخدم الخط العربي وبالطريقة المغربية، مع مراعاة نوع الورقة وطريقة الخط. وأن كاتب هذه الرسالة كان من

المقربين لحاكم مالي منسا موسى، بل كان أحد مرافقيه في رحلة حجه. وهذا يؤكد لنا، ما ذكرناه سابقاً، من إطلاع موظفي إدارة حكومة مالي على ما عند أقرانهم في البلدان التي زاروها في طريقهم إلى الحج مع ملكهم. وهذا يحفزنا على القول أن ديوان الإنشاء في مصر كان له أثراً في إثراء صيغ المكاتبات في ديوان الرسائل في مالي، ويؤكد ذلك ما نجده من تشابه في صيغ مخاطبات الملوك والسلاطين عند كلّ من كتاب مالي وكُتاب مصر حيث استخدموا الأسلوب الفخم والمسجوع والتقيد بصيغ المجاملات العالي[93].

وختاماً نذهب إلى أن رحلات حج حكام السودان الغربي وأصطحابهم لكبار إداريهم معهم كانت لها إسهام في إثراء النظام الإداري في السودان الغربي، فجاء تطوير أو استحداث الوظائف والمؤسسات الإدارية في الحكومات السودانية والتي أصبحت لا تختلف عن مثيلاتها في أقاليم الدولة العربية الإسلامية في أنواعها وتنظيماتها.

الهوامش:

1. للتفاصيل ينظر: صباح إبراهيم الشيخلي، "عوامل انتشار الإسلام في أفريقيا الغربية"، مجلة دراسات إسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، 2000، (إصدارات بيت الحكمة، بغداد).
2. السودان الغربي أرض ليست بالصغيرة في أفريقيا جنوب الصحراء، تمتد من سواحل المحيط الأطلسي غرباً إلى منحنى نهر النيجر شرقاً، ومن الصحراء الغربية شمالاً حتى الغابات الأستوائية الحارة جنوباً.
3. ينظر للتفصيل عن الاتحاد الصنهاجي الصحراوية وعن زعمائهم الذي جاهدوا في بلاد السودان الغربي من أجل نشر الإسلام، بل وأخضع بعضهم ممالكة سودانية كثيرة لسيادتهم، ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، (ليدن، مطبعة بريل، 1938)، ص100؛ البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003)، ج2، ص351؛ مؤلف مجهول من أهل القرن 6هـ/12م، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، (الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985)، ص216، ابن أبي زرع، أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، تصحيح وترجمة: كارل لوجن تورنبرغ، (اوباسله، 1843)، ص76؛ ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر المعروف بتاريخ ابن خلدون، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983)، ج6، ص372.
4. المسالك، ج2، ص352.
5. هناك اختلاف في تحديد سنة رحلة حج يحيى بن إبراهيم الجدالي، فقد حددها إلى أبي زرع بسنة 427هـ/ 1035، بينما ذكر آخرون أنها كانت سنة 430هـ/1038م. ينظر: الأنيس المطرب، ص77؛ ابن عذاري المراكش، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (بيروت، دار الثقافة، 1980، ج4، ص7؛ مؤلف مجهول من أهل القرن 8 هـ/14م، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1979)، ص19؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص373.
6. البكري، المسالك والممالك، ج2، 352؛ ابن عذاري، البيان، ج4، ص7-8؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 77-78؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص19-20؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص373-4.
7. ينظر للتفاصيل: البكري، المسالك، ج2، ص352-4؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص78-80؛ ابن عذاري، البيان، ج4، ص8-11؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص20-21؛ابن خلدون، العبر، ج6، ص374-375.

8. S.J. Farias, "The Almoravids: Some questions concerning the character of movement during its periods of closest contact with western Sudan", Bulteein de' Insttuas fundimental d'Afrique Noire Tom.XXIX, No.3-4, (October, 1970), P.794.

9. عن أسباب اندفاع المرابطين إلى الشمال ونتائج ذلك ينظر: صباح إبراهيم الشيخلي، "حقائق جديدة حول الحركة المرابطية"، مجلة المؤرخ العربي، عدد 27، سنة 12، بغداد، 1986، ص88-98.

10. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص80-87؛ ابن عذاري، البيان، ج2، ص12-21؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص22-23.

11. البكري، المسالك، ج2، ص355.

12. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص81.

13. المسالك، ج2، ص363.

14. الأنيس المطرب، ص85-87.

15. البيان، ج4، ص24-27 يذكر ان أستشهاد أبو بكر كان سنة 463هـ/1070م.

16. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص87؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص377؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص17.

17. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، (دمشق، 1968)، ص125.

18. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أديس الحسني، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: هنري بيربيس، (الجزائر، 1957)، ص6.

19. مؤلف مجهول، ص17.

20. الأدريسي، وصف، ص6.

21. ينظر: ميلكس كلاين فرانكه، "أبحاث هايز بارث في تاريخ الإسلام وانتشار العربية في أفريقيا"، مجلة العرب والعالم، السنة 5، العدد58، آب 1983، ص57.

22. الجعرافية، ص125.

23. N. Levtzion, Ancient Ghana and Mali, (London, 1973), P.208.

24. ينظر للتفاصيل عن مملكة مالي: إبراهيم علي طرخان، مملكة مالي الإسلامية، (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1973).

25. Levtzion, Op. Cit., P.208.

68. السعدي، تاريخ، ص125؛ محمود كعت، الفتاش، ص119.
69. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، 1955)، ج3، ص412.
70. ابن بطوطة، رحلة، ج2، ص784.
71. مسالك الأبصار، ص65.
72. البكري، المسالك، ج2، ص363.
73. رحلة، ج2، ص784، 781.
74. المصدر نفسه، ج2، ص786-787، ص788-789.
75. مسالك الأبصار، ص71.
76. محمود كعت، الفتاش، ص148-149، ص191-192.
77. العمري، مسالك الأبصار، ص67؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جج5، ص287.
78. السعدي، تاريخ، ص68.
79. المصدر نفسه، ص68.
80. الفتاش، ص68-69، ص136، 159-160.
81. المصدر نفسه، ص205.
82. المصدر نفسه، ص191.
83. السعدي، تاريخ، ص125.
84. المسالك، ج2، ص363.
85. العمري، مسالك الأبصار، ص60.
86. رحلة، ج2، ص776، 792.
87. المصدر نفسه، ج2، ص792.
88. محمود كعت.. الفتاش، ص67؛ ابن بطوطة، رحلة، ج2، ص795.
89. محمود كعت، الفتـ.. ص53، 57.
90. رحلة، ج2، ص793.
91. المصدر نفسه، ج2، ص782، 783.
92. مسالك الابصار، ص67؛ ينظر أيضاً: القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص286-287.
93. مسالك الأبصار، ص73؛ صبح الأعشى، ج8، ص15.
94. ينظر عن صيغ وأساليب الكتابة في رسائل ديوان الإنشاء في مصر والخاصة بمخاطبات حكام مالي. القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص15.